دور الأدب في تنمية المجتمع ـ رواية ربيع الكورونا أنموذجاً

ابتسام يوسف صفر

ـمقدمة ـ

لكل أمة حضارة وتاريخ عريق تعتز به، ونحن العرب نعتز بحضارتنا عبر التاريخ لما خلّفه لنا السابقين من أهل العلم والأدب، ومختلف مجالات العلوم.

وفي هذا البحث نكشف الأضواء عن أهمية اللغة العربية لغة القرآن الكريم التي جمعت العرب القدامى والمحدثين للتعرف على أصولها التاريخية والاجتماعية والسياسية وغيرها، والتراث العربي الناضج احتوى أجيالاً كثيرة في القراءة والدراسة بعلوم العربية وآدابها

ولأهمية الأدب ودوره في تنمية المجتمع والرفع من شأن لغته، والرقي في التذوق الأدبي الرفيع، اخترت موضوع البحث: دور الأدب في تنمية المجتمع، ربيع كورونا أنموذجاً، واشتمل البحث على مبحثين، وكان المبحث الأول بعنوان: دور الأدب في المجتمع ؛ حيث تناولت الحديث عن مكانة الأدب عند العرب، ثم تطرقت إلى دور الأدب في تنمية المجتمع؛ حيث اشتمل على دور الأسرة ثم المدرسة، والإعلام وغيره، وفي المبحث الثاني الذي كان بعنوان: أهمية المجتمع في تنمية الأدب، وكان الفصل الثاني يحتوي على مبحثين: أولهما جاء بعنوان: ربيع الكورونا ودورها في الأدب، والمبحث الثاني: ربيع الكورونا ودور الوعي في المجتمع، وفي الختام اشتملت الدراسة البحثية على الخاتمة، توصيات الباحثة، والمصادر والمراجع، وفي نهاية البحث يسرني أن أشكر أسرة المؤتمر بكلية التربية العجيلات، وأخص بالشكر الدكتور فرج المبروك على حسن التعاون والرقي بالبحاث، وإبداء الملاحظات القيمة لهم، كل الشكر والتوفيق.

الباحثة: إبتسام يوسف صفر.

1-الفصل الأول ـ علاقة الأدب بالمجتمع:

إن للأدب دور كبير في المجتمع، فهو يصور أفراحه وأحزانه، ويسطر آماله وأحلامه في المستقبل، وكذلك يعكس مراحل حياة الإنسان في أزمنة متعددة، وللأدب أنواع كثيرة منها الشعر، والقصة القصيرة والرواية، والمقالة وغيرها، وهذه الفنون تغذي المجتمعات من الجانب الثقافي والنظر للمستقبل بمختلف اتجاهاته، وكذلك تمدهم بالوعي الاجتماعي في مختلف مظاهره، فالأدب سجل تاريخ الأمم السابقة في حياتهم الاجتماعية والسياسية والثقافية، وكانت صورهم المتنوعة في عاداتهم وتقاليدهم

المختلفة، وكان شعرهم وقصصهم ومقالاتهم عكس بيئاتهم ومجتمعهم، و((التاريخ هو استحضار صورة الماضي الإنساني فإذا بنينا هذا الماضي بالكتابة التي تعبر عن تجاربنا الشخصية أصبح لدينا تاريخ أدب، فهو
تفسير الوقائع التي أثرت في تكوين الأدب على امتداد القرون)) ، (إمبرت،1991، ص. 20). ولذلك أرى أن الأدب يجمع الأمة ويسجل تاريخها وأنماط حياتها على مر العصور، ولتوضيح ذلك نتبع المبحثين الآتيين:

المبحث الأول ـ دور الأدب في المجتمع :

أ- مكانة الأدب عند العرب:

للأدب مكانة كبيرة عند العرب، فعن طريقه وصلنا التراث العربي وثقافته وحياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والثقافية، وتحدث أدبهم عن أفراحهم وأحزانهم وهمومهم، وكما قرأنا عن عاداتهم وتقاليدهم، وأسواقهم، وسجلهم حافل بالقصائد والمعلقات والأمثال والحكايات وغيرها، فأدبهم مرآة تعكس التطور الأدبي الذي وصلوا إليه، و((إن المعارف والآداب وسائر الفنون أمور تنمو وتتطور بنمو المجتمعات التي تصدر فيها، وهي في هذا النمو والتطور تتأثر بما سبق وتؤثر فيما يأتي))،(عثمان،1986،ص.15). وقد حافظوا الأولين على تراثهم وأدبهم ، وقاموا بقراءته، والاستفادة منه، والتعمق في معانيه، وكشف الغامض منه، إن الأمم التي تهتم بآدابها وتراثها في اللغة العربية هي الأمم الباقية التي ترث الكتب الأدبية، وترفع مكانتها بالرقي ثقافتها، ولا تلتفت كثيراً إلى الثقافات المستوردة التي تفسد مجتمعاتها، والاهتمام باللغة العربية وآدابها في أزمانهم، حتى يبقى صداها بين الأمم، وفي النظر إلى تاريخ العرب نجد أنهم اهتموا بالأدب وفنونه المختلفة، ((إذ أكب الشعراء على العربية يتقنونها ويتمثلون ملكتها وسيلتها تمثلاً دقيقاً، نافذين بذوقهم المتحضر إلى أسلوب مصفى يجمع حيناً بين الجزالة والرصانة، وحيناً يجمع بين الرقة والعذوبة))،(ضيف،ص.5).وكان بلسم جراحهم في كثير من الأوقات، ومن هذه الثقافة الأدبية وجب الاهتمام بالأدب الذي يمثل الشعوب، ويروي تاريخهم وحياتهم عن طريق الأدب.

ومن خلال قراءة الباحثة لرواية ربيع الكورونا فإنها ترى أن الرواية الليبية حققت نجاحاً كبيرا في ميادين شتى من الحياة الليبية، وصورت إبداعات الأدباء وحالة الوطن وتاريخه وعاداته وتقاليده، ولذلك يجب النظر إلى الحاضر الذي يصور تاريخ ليبيا وآدابها من خلال أقلام الأدباء، وهذه الرواية صورت الكثير من القضايا، ولكن أقدم نموذجا من الرواية كشاهد على تاريخ ليبيا، كقول الروائي (رشراش،2020) في

قصيدة عن طرابلس حيث قال عنها: توجهت صوب السراي الحمراء، وأخذت أنشد مخاطباً طرابلس، عروس البحر الأبيض المتوسط الحزينة :

اخلعي عنك
عباءة الحزن!
انسي الترح
ارتدي ثوب الفرح
أنت عروس
الأسود لا يليق بك))،(رشراش،2020. ص.127).

ولذلك كان الشعر يمثل مرحلة هامة من مراحل المجتمع، والتاريخ الأدبي، وعليه ينبغي الاهتمام والقراءة الأدبية، وتشجيع المجتمع على قراءتها، والوصول إليها.

أ- دور الأدب في تنمية المجتمع:

للأدب دور كبير في تنمية المجتمع، فهو يطرح قضاياه القريبة من واقعه، ويفسرها أدبه الاجتماعي في شكل قصة أو شعر أو رواية، وتصبح المقاربة بين القارئ والعادي والمثقف شديد الصلة بهما، و ((دراسة العلاقة بين الأدب والمجتمع قديمة قدم فكرة المحاكاة الأفلاطونية، وفكرة الواقعي والمحتمل الأرسطية، ولكنها دخلت في القرن العشرين آفاقاً جديدة جعلتها مدار بحث بين كثير من المهتمين بالأدب ودارسيه)) (حافظ،1981،ص.66). لأهميته ومكانته في تنمية وتطور المجتمع.

إن الأدب يساهم في نجاح الحياة الاجتماعية للإنسان، وهو القادر على نشر الوعي للمجتمع بمختلف أشكاله وللنظر في دوره البناء للمجتمع نتتبع الآتي:

1- الأدب والأسرة:

الأسرة هي البذرة الأولى لتنشئة الأبناء، فهي تحمل على عاتقها التربية والتوجيه لأبنائها منذ بداية حياتهم، حيث تشرف على رعايتهم وراحتهم الجسدية والنفسية والعقلية، فالأسرة تشكل ركناً هاماً من المجتمع في تربية الأبناء، وإيجاد الطرق الصحيحة لمسار حياتهم حتى خروجهم إلى المجتمع، فالإضافة إلى التربية العامة التي تهتم بالطفل من نشأته حتى نضجه، تصل إلى التربية الفكرية وكيفية حب القراءة والاطلاع في المعارف المختلفة التي تشكل النشء على العلم والحفظ وقراءة القصص، والرفع من المستوى الفكري، وبذلك تحاول الأسرة أن تنهض بأبنائها نحو قراءة الأدب وقصص الأطفال، أو مشاهدة الإذاعة أو الأجهزة الالكترونية، وإعطاء برامج مناسبة لأطفالها من أجل التعلم، وحب القراءة قبل الدخول إلى المدرسة، والبحث عن المثل

العليا في الأخلاق والتربية بواسطة قراءة كتب الأدب عند أغلب الأسر، ولذلك فالأسرة نسيج اجتماعي يشكل قيم عادات مألوفة للأبناء، واستقرار الأسرة من استقرار المجتمع، و((البناء الاجتماعي نسيج يتكون من العلاقات التي

تربط بين أعضاء المجتمع الواحد أو بين الجماعات المختلفة التي يتكون منها ذلك المجتمع))،(قشوط،2016،ص.29).وعليه فالأسرة مجتمع الصغير التي يربط أفراده ارتباطاً وثيقاً بعضه ببعض، ويساهم في التعاون والتربية الأخلاقية والفكرية للوصول إلى التميز مع الآخرين عند خروجهم للحياة العامة.

إن علاقة قراءة الأدب بالأسرة علاقة يكسب عن طريقها الدخول إلى عالم الأخلاق والشجاعة وغرس القيم للأبناء حتى ترتفع أخلاقهم، وتصقل ذائقتهم الأدبية، تختلف الاهتمام من أسرة لأخرى، وتتفاوت وفق معادلة الوعي والتحضر والاهتمام بالقراءة بينهم، فقد تكون هناك أسر لا تهتم بهذه الأمور وتعتبرها بعيدة التأثير لأبنائها ، وترى أمور أخرى أكثر أهمية من ذلك.

2- الأدب والمدرسة :

المدرسة هي البيت الثاني الذي يساهم في نشر العلم في العلوم المختلفة، وتدخل القراءة الأدبية في أول المراحل الدراسية التي تشكل التلميذ في التربية وجدانه وعواطفه مع الآخرين، وتنشئ عنده حب قراءة الكتب المتنوعة، وفي المدرسة قد ((يسمح للطفل باقتناء الكتب عندما يصل إلى السن المناسبة، لأن هذا يزيد في حبه لها ، وبذلك يحفزه إلى المطالعة)) (برتراندرسل، بدون تاريخ.ص.110). والقراءة المتنوعة، فدور المدرسة هو الرفع من الرقي باللغة العربية والاعتزاز بها عند التلميذ والطالب في سنواته التعليمية المختلفة، واكتسابه المهارات الأدبية عن طريق القراءة ودروس الأدب التي تواكب الحياة والعصر، وكذلك الاهتمام بالقراءة في القصة والرواية والنقد حتى تحقق نجاحها عند طالب العلم، وينبغي للمؤسسات التعليمية أن تهتم بعطاء المعلم اللغة العربية، وطرح قضايا معاصرة في الأدب حتى يشعر الطالب باتصال الأدب بحياته، وارتباطه بالمجتمع، وتهتم بطرق التدريس للمعلمين في مادة الأدب لأنها الجسر لصناعة العقول وصقل الأحاسيس للطلاب المراحل المختلفة، وأن ((انعدام هذه الطريقة يولد فيه مشاعر النفور تدريجياً من كثير من عناصر المجال المدرسي، وفي مقدمتها المادة الدراسية وتتضخم هذه المشاعر شيئاً فشيئاً، حتى تتبلور في عاطفة كراهية، وتبدو لنا أخيراً بمظهر البلادة والتخلف الذهني)) ،(ربيع، 1958، ص. 232،231).وعلى المدرسة أن تهتم بالطاقات الإبداعية الأدبية، والنشاطات في اللغة العربية ولاسيما الأدبية

حتى يحصل المجتمع على أفراد ذو وعي وحضارة لبناء أوطانهم، وزرع الثقة في نفوسهم، والتعليم بصفة عامة والأدب بصفة خاصة قادر على إخراج معطيات متميزة، وطاقات إيجابية لنشر القراءة الأدبية بأبعادها الاجتماعية، وخلق التنافس بين صفوف الطلاب للوصول إلى ثمرات أدبية قيمة، فقراءة الأدب بأنواعه كالشعر والقصة والمقال والرواية وغيرها، يمنح الطاقة الإيجابية للطالب، وفهمه للحياة من خلال تجارب الآخرين، والعبرة من قصصهم وقصائدهم، وتساعده إلى التعبير عن مشاعره والانطلاق إلى مواجهة الصعاب بقوة وثقة بالنفس، لأنه استمد من مقومات الثقافة الأدبية المقروءة بمختلف مراحل دراسته، وهكذا نضمن نجاحه في حياته العملية، وخدمة مجتمعه، ولذلك من الواجب أن نمده الأدب الماضي والحاضر ونرشده إلى قضايا مجتمعه حتى يشعر بواقعية ما يقرأ، وما يحيط به، ولذلك فإعداد المعلم والإدارة المدرسية والاخصائي الاجتماعي ، ويكون بقراءة الأدوات العلمية والأدبية التي تؤدي إلى نجاح الحياة التعليمية بكل صورها لخدمة المجتمع بكل مستوياته الاجتماعية، فالأدب المحلي والعربي والعالمي موسوعة من المعرفة، يستطيع أصحاب الشأن أن يضيئوا بها حياة القراء والطلاب والمعلمين وغيرهم في حياتهم.

3- الأدب والإعلام:

يتمتع الأدب بأنه يتقبل كل مستويات المجتمع، سواء أكانت في التعليم أم في قطاع الثقافة وغيرها، لأن الأدب يعمل على تحريك أفكار القراء، والاستفادة من قصصهم اليومية، وتحويلها إلى إبداعات أدبية دون النظر إلى تخصصاتهم أو وظيفتهم، فقد يكون الرجل تاجراً ونراه محباً للأدب والتعمق في دراسته، أو يمارس مهنة بعيدة عن الأدب وفنونه ومع ذلك فهو قارئ للأدب وأعلامه ورواده، فقراءة الأدب لا تقتصر على الطالب والمعلم أو المتخصص فيه، وإنما هو فضاء واسع يستطيع الإنسان بمستوياته المختلفة أن يصل إليه، وقراءة الأدب مرتبطة بكل أطياف المجتمع، وفائدته هو الاستفادة من اللغة العربية بكل أبعادها الموضوعية والفنية واللغوية، ولذلك فاللغة العربية ترتبط بالأعلام وبالثقافة والصحافة، والنشاط الأدبي في التعليم، والأندية الثقافية، فبصماته نحو ذلك بارزة وعميقة، نرى بوادرها في الأدب بعصوره من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، حيث كان للأدب وقفات متميزة نحو الشعر والمناظرات والمقامات العربية ثم القصة القصيرة والرواية وغيرها من فنون الأدب.

إن الإعلام المتمثل بالصحافة وكتابة المجلة الأدبية شكلت معالم واضحة في آثارها الأدبية، وأنشئت من خلالها الندوات والمؤتمرات الثقافية التي كان الأدب في

افتتاحية الحركة الثقافية التي ترتبط بموضوعات قريبة من المجتمع، و((يعتبر الإعلام عبر وسائله التقليدية والجديدة المورد الأكبر للكميات الضخمة من المعلومات اليومية التي تزود القارئ بالثقافة، والأقدر على التفاصيل الضرورية الخاصة بأية قضية تهم المتلقي، ولا يتوقف الدور التثقيفي للخبر الصحفي على فئة معينة من المتلقين وإنما يمتد ليشمل كل الفئات، ويمكن لكل فئة أن تصل إلى مبتغاها من الأخبار بسهولة عبر الصحف والمحطات الفضائية والإذاعية ومواقع التواصل الاجتماعي على شبكة الإنترنت والهاتف المحمول))،(إسماعيل،2014،ص.45-46).وكل ذلك يحتاج الإعلامي إلى اللغة الأدبية للوصول إلى الخبر، وكيفية كتابته بطريقة تناسب أنماط المجتمع، فقد يستدل بأبيات شعرية، أو قول مأثور، أو مثل شعبي للسامعين أو القراء وفق المقام والحاجة، وكلما ازدادت مهارته الأدبية ازداد جمهوره ومحبيه، إن الأدب في خدمة الإعلام بمختلف طرقه وأشكاله الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها للوصول إلى بناء مجتمع ذو ثقافة عالية بين المجتمعات الأخرى، والأدب وثيق الصلة بالأعلام فهو يقودك إلى الثقافات المنوعة في المجتمعات المحلية والعربية والعالمية، فيقرب عاداتهم وتقاليدهم وثقافاتهم المختلفة التي تؤدي إلى تطور العصر والرقي الأفراد، ولذلك فالإعلامي بحاجة مستمرة إلى قراءة الأدب القديم والحديث لصقل لغته وتجربته الأدبية ، وإيصالها إلى المجتمع بكل يسر وسهولة.

المبحث الثاني ـ أهمية المجتمع في تنمية الأدب :

إن دراسة المجتمع من الدراسات الهامة التي شغلت علماء التاريخ والاجتماع، لأنه ((يعد أكبر معمل للدراسات الاجتماعية، فهو يحتاج منا دراسة علمية تمكننا من رؤية الحياة الاجتماعية على حقيقتها، حيث أننا نراه في حركة دائمة؛ لأن ما نشاهده من سلوك الناس حولنا ، وما نلاحظه على مسرح الحياة كلها أمور تمدنا بمادة لها قيمتها في تفهم هذه الحقيقة عن المجتمع))،(قشوط،2016،ص.7). وأحواله الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولذلك فمن الواجب التطلع إلى طموحات المجتمع، ورؤية قدراته ونشاطاته في مجالات الحياة، وكذلك التعرف على مواطن الضعف في المجتمع لمعالجته ، والنظر في رقيه عن طريق أفراده ومؤسساته، وتحقيق حقوقه ورغباته حتى نضمن نجاح أفراده في الحياة، وكذلك في التعليم والصحة والثقافة العامة والمجالات الأخرى التي تقوده إلى طريق الصواب.

وأما علاقة المجتمع بالأدب فهي علاقة عطاء ونماء، فالمجتمع يرسم أحوال أفراده، وطرق حياتهم بينما الأدب يدون ما يكتبون، وما يعملون، ويسطر تضحياتهم تجاه وطنهم

، يظهر قوتهم وضعفهم عبر التاريخ، يكتب الأدب رواد أدبهم في القصة والرواية والشعر، وينظر إلى مراتب تفكيرهم، فالعلاقة تاريخية وإصلاحية من جانب، وعلاقة الاهتمام باللغة وأهم شيوع فنون الأدب في زمانهم من جهة أخرى.

دور المجتمع في تنمية الأدب:

تتعدد أدوار المجتمع في تنمية الأدب، وذلك بالتشجيع أبناءها للقراءة والكتابة الأدبية في السيرة الذاتية، والشعر والفنون الأخرى، والتطلع إلى التراث، وقراءته ودراسته ونقده ، ونشره في كل أرجاء المجتمع، وأخذ العبرة من الأدب القديم، والعمل على التجديد والتطوير لأشكاله الأدبية، وهذا الاهتمام تتجلى مظاهره في الأسرة وتربية حب القراءة لأبنائها، والاستمرار في التعلم في كل الأوقات، وكذلك يأتي دور المدرسة وزرع حب القراءة الأدبية ونشر الثقافة العربية والمحلية لأبنائها لغرس حب المجتمع وخدمته في الحياة دون انتظار مقابل من غيره، وكذلك دور المجتمع بمؤسساته إلى ممارسة القراءة وخلق التنافس بين أفرادها، والابتعاد عن الفراغ الذي يضيع المجتمعات، ويقودهم إلى التخلف والجهل.

1- الفصل الثاني ـ الأدب والمجتمع في رواية ربيع الكورونا :

صارت كورونا تمثل كابوساً للعالم، فهي عطلت أمور حياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأصبح الخوف يزور الناس العامة والخاصة من إصابتهم لداء كورونا، فقد قلت الزيارات ، وأقفلت المطارات، وابتعدت الأيادي عن المصافحات ، واكتفت بالنظرات والإيماءات، ومات الأحباب بسبب كورونا، وهو الذي أفقد التواصل مع القريب والغريب، وشتت حياة القوي والضعيف، والفقير والغني، وبدأت اللقاء بالمراسلات، والبقاء في الحجرات، كأننا فئران تخاف من القطط افتراسها، وقد اضطرب العالم أفراداً وجماعات من الوباء، وأقيمت الندوات والمؤتمرات حول الوباء، وكيفية الحماية منه، وأصبح المجتمع يشمله الخوف والرعب من داء كورونا، وتساءل أبناء المجتمع بمختلف شرائحه عن الداء وكيفية الوقاية منه، فظهرت الإعلانات والدعايات المختلفة تفسر طرق الوقاية، وكيفية التغذية الصحية التي تحمي الناس من الداء، ولم تقتصر اهتمام بوباء كورونا على الأطباء والتمريض وأهل الاقتصاد بل وصلت إلى المثقفين وأهل الأدب والعلم وذلك بكتابة موضوعات أدبية شملت الشعر والقصة والرواية تتناول موضوع العصر وباء كورونا، وجاءت نصوصهم بلغة رشيقة أدبية تصور أحوال الناس واضطرابهم تجاه الوباء، ولأهمية الموضوع وعلاقته بالأدب الذي يخدم المجتمع ويوافق العصر اخترت رواية ربيع كورونا للدكتور أحمد رشراش

نموذجاً، حتى نرى مقدرة الأدب (الرواية) التي جمعت اللغة والأدب وحداثة الموضوع، حيث شكلت الرواية مرحلة انتقالية رفيعة في الأدب وتأثيرها على القراء بمختلف اتجاهاتهم، للتعرف أكثر على أثر الرواية على الأدب والمجتمع نتبع مايأتي:

المبحث الأول ـ ربيع الكورونا ودورها في الادب:

أعطت رواية ربيع الكورونا مكانة قيمة في الأدب الليبي والعربي، وكان انطلاقها من الواقع الذي يسمع القارئ به ، صورت الرواية أحداثاً واقعية وخيالية كثيرة غذت الرواية من روافد متعددة، وكانت الشخصيات نامية ومتطورة في أغلب مواضع الرواية، وكشفت ملامح تاريخية بين البلدين الشقيقين ليبيا وتونس، وقدمت ملحمة كفاح العالم حول الوباء وأثاره على الاقتصاد الدول العالمية التي فشلت في تحقيق التوازن الاقتصادي والتواصل مع الشعوب الأخرى، هذه الأحداث وغيرها كانت الرواية في خدمة الأدب العربي، ومنطلق التواصل الثقافي بين الأدباء بسبب الوباء، وفيما يأتي أهم المميزات الرواية ربيع الكورونا في الأدب العربي:

1- مضمون الرواية وأثره على الأدب:

أخذت الرواية مسارات متعددة في المضامين؛ حيث قدمت للقراء أجواء الواقع الذي يعيشونه، وهيأت مضامين جديدة في عالم الأدب، فقدمت المضمون التاريخي الليبي، وحالة المجتمع الليبي أثناء انتشار الوباء، كقول الأديب أحمد رشراش : ((اشتدت الحرب في منطقتنا (حومتنا) فاضطررنا إلى النزوح، وتركنا بيتنا، واستأجرنا بيتاً آخر في منطقة أخرى؛ فإذا بالحرب بعد شهرين تتبع خطانا، كأنما نشبت لأجل تهجيرنا من بلادنا! فاضطررنا إلى النزوح مرة أخرى))،(رشراش ،2020،ص .53).لقد أعطت الرواية البعد التاريخي لحالة ليبيا، فهي ترزح تحت الحرب من جانب، وتحاول السيطرة على الوباء من جانب آخر، فالرواية صورت الواقع الليبي بمشاكله المحلية والعالمية وكيفية مواجهة الأزمة لحماية المجتمع.

وكذلك قدمت الرواية التلاحم المجتمعات الأخرى مع ليبيا ومساعدتها كدولة تونس الشقيقة التي استقبلت العائلات عند نزوحها، وقامت بمساعدتهم، يظهر ذلك كقول الأديب في الرواية قائلاً: ((نحن في تونس وليبيا إخوة وأصهار وأنساب، وأنت أمك تونسية كما قلت، وأنا والدي من أصول ليبية نقبل بكل سرور، - لقد تم أنسي بكما.. أنا أحب الشعب التونسي، ولي أقرباء وأصدقاء هناك، وقد توحد حب ليبيا وتونس في قلبي، واندمجت دماء شعبيهما في عروقي))،(رشراش،2020،ص.44-45). ويكثر ذلك في مواضع كثيرة يذكر الكاتب تآلف الشعبين بعضهما البعض، وهذا البعد التاريخي الذي صوره

الأديب يدل على قوة العلاقة بين الشعوب العربية الاجتماعية والاقتصادية والتي شكلت لوحة إنسانية طيبة نستطيع بها توجيه الأجيال القادمة لزرع المحبة والألفة بين المجتمعات عن طريق قراءة الأدب، ولاسيما رواية ربيع الكورونا.

واهتمت الرواية بتصوير حالة الناس أثناء السفر تجاه الوباء، حيث قال الأديب: ((وبعد أقل من ساعة حطت بنا الطائرة في مطار تونس قرطاج الدولي .. قام القبطان بتهنئة الركاب على سلامة الوصول، منوهاً بضرورة التريث، والالتزام بالبقاء في الأماكن، ولبس الكمامات والقفازات التي وزعتها المضيفات في الطائرة، ودعا إلى التحلي بالصبر، لأن الإجراءات هذه المرة ستكون مشددة على غير المعتاد، حيث سيخضع جميع الركاب للفحص الطبي، بقياس درجة الحرارة، وسيتم وضعهم في الحجر والعزل الصحي لمدة أسبوعين، فبعد تفشي وباء كورونا في الصين، شرعت تونس كشأن أغلب دول العالم، في استقبال المسافرين العائدين من الصين ودول أخرى وسط رقابة مشددة بالكاميرات، وجهاز قياس درجات الحرارة لتوخي دخول أية حالات حاملة للفيروس))،(رشراش،2020.ص.61-62). ففي النص السابق أظهر الكاتب أثر الوباء على المسافرين، وخوف الدول الأخرى من انتشاره بين المجتمع، وعند القراءة يتعاطف القارئ مع الأحداث المتتابعة، لأن الحالة التي وصفها الروائي يعيشها كل فرد منا، وكان الكاتب مبدعا في تصوير الحالة النفسية الي يعيشها المسافرين، ولحظات الخوف والرهبة تحيط بهم من كل جانب نتيجة هذا الوباء المنتشر في العالم، لقد أصبح هناك عزل وحجر صحي لم نتعهده في السابق أثناء السفر، وقلت المخالطة للآخرين، والتباعد الاجتماعي بين الناس شكل مخاطر نفسية كثيرة في الداخل بلدانهم وخارجها.

ذكر الروائي أهوال الناس من الوباء، وأن البطل أصيب بالوباء كورونا فتسلسلت الأحداث الرواية بلغة عذبة تشد القراء عند القراءة، وتدخل المتعة الأدبية والراحة النفسية لمتابعة شخوص الرواية، لأن الروائي اقترب من واقع وأضاف جمالية اللغة في سرده، فجاءت الرواية مطيعة بكل جوانبها الإبداعية في اللغة والمضمون، فهو يقول: ((في صبيحة اليوم الذي يليه، ظهرت الأعراض على ألفة ، فألحقت بصديقتها في المستشفى.. جزعت عليها، وأيقنت بأنني مرجح للإصابة بالفيروس؛ لقضائي ساعات طويلة إلى جانب ألفة، وصار فكري مشغولاً بالمرض، وضاقت بي الدنيا بما رحبت.. أمسكت بقلمي وكتبت مقالاً، تحت عنوان: كورونا وسؤال المنشأ، تحدثت فيه عن فيروس كورونا ، عدو الإنسانية المستحدث، وطرحت تساؤلات عديدة عن مصدره، وأسباب تفشيه وانتشاره بهذه السرعة، وهل هو عقاب من الله- سبحانه وتعالى- للبشر،؛

ليذكرهم بضعفهم أمام قدرته المعجزة؟))،(رشراش،2020.ص.68). لقد أدخلنا الروائي إلى عالم الكورونا وأثره على البشر، وكيف أن البطل يسجل أغلب الأحداث والمراحل التي مرت به تجاه الوباء، وأصبح التعاطف مع النص بوجدانية يسودها الحزن والألم، لأن الوباء مازال موجوداً بيننا، ولم نستطع السيطرة عليه، وهذا البوح الأدبي للبطل شكل نجاح الرواية من الجانب الاجتماعي بسبب كبير، حيث يستطيع القارئ أن يقترب من النص بسهولة وفي كل مستوياته الثقافية لأن المضمون الرواية هو مضمون العصر بكل تفاصيله الدقيقة، وأوجاعه الأليمة.

شكلت الرواية معاناة المجتمع الليبي من الداخل تجاه الوباء والظروف المحيطة بينهم، فقال: ((وبدلاً من استيراد الدواء والمعدات لمواجهة الوباء، تم استيراد الأسلحة الفتاكة، وحجر الناس في بيوتهم؛ فوقعوا بين شقي رحى: نيران الحرب، وجائحة كورونا، فإن هم خرجوا من منازلهم ، أصيبوا بعدوى الفيروس، وإن هم بقوا في بيوتهم ، فربما سقط عليهم صاروخ طائش، أو قذيفة خاطئة، أسقطت سقف المنزل على رؤوسهم)) ،(رشراش،2020.ص.83).

جاءت الرواية بقوة سردها، وجمال لغتها، وروعة بيانها، وحيوية أحداثها، وتطور مواقفها، أبعاد مضمونها المتعدد الاتجاهات كالمضمون التاريخي للرواية، والاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، والتعليمي، وغيره مما أعطى تعدد نظرة الرواية في مضامينها المتميزة التي تخدم النص الروائي والقارئ والناقد بشكل كبير.

اشتملت الرواية على إبراز العواطف الإنسانية والمحبة، فالبطل العاشق يبوح لصديقه عن حب ألفة، وكان الحب يتطور تدريجياً في الرواية ، ويسقي القارئ حلاوة الرواية وجمالية الحب الجميل وسط الأوبئة والصراعات الداخلية والنفسية للبطل، وسرد الروائي قصة الحب عن طريق حوار دار بين البطل وصديقه، جاء فيه: ((إن صديقك مدين لجائحة كورونا بلقاء حميم .

-لا تقل لي إنك عاشق ولهان!

- بلى يا صديقي! لقد عصف بي العشق وتملكني الوله.

-هيا أخبرني.. ماذا تنتظر؟ من هي معشوقة صديقي؟ وهل أعرفها؟))،(رشراش ،2020.ص.96). كانت قصة الحب التي نسجت في الرواية أشبه بالاستراحة للقراء، فشكلت البعد العاطفي التي يلجأ إليه الإنسان للهروب من واقعه التي امتلأ بالصدمات المتتالية، فنسج الغرام في الرواية أعطى الهدوء والتأمل للنفس البطل، إذن فالروائي لم

يقتصر على بث الحدث هنا وهناك بل اقترب من منافذ أخرى يستجدب القراء بروعة أدبه ولمعان قلمه.

أخذت الرواية اللمسات الإبداعية من اللغة العربية، وطافت بالقارئ طرق متعددة في اللغة، ولم يقف في النص الروائي على السرد فقط، بل أدخل الروائي القصائد الشعرية لتعبر عن لمسات الواقع، كقول الكاتب أحمد رشراش: (القديسة)

أيتها القديسة!

بحضورك

اكتسى المكان رهبة

تدحرجت مشاعري أمامك

كالبساط الأحمر؛

إجلالا لهيبتك))،(رشراش،2020.ص.141).

2- إن النص الروائي اجتمعت فيه أنواع أدبية مختلفة خدمت اللغة العربية بأشكالها المختلفة من الشعر والقصص، وهذا عمل على نشاط الفكري والعاطفي للرواية، والرقي بمستوى الفكري واللغوي للقراء، ولذلك كانت اللغة تعمل في الرواية بشكل واضح وبارز، وجاءت اللغة في الرواية بأسلوبية جذابة تفوح من عباراتها الروائية.

3- القيمة الفنية للرواية:

في رواية ربيع الكورونا معالم فنية كثيرة، جمعت البناء الفني لها ، ومزجت دلالات فنية تستحق الوقوف عندها، نذكر منها: القيمة الفنية للعنوان، وأثره على المحتوى النص الروائي، وكذلك الشخصيات الروائية، ودورها في إدارة الصراع والمواقف، والمكان الذي أخذ مساحة واسعة في الرواية، وكان يتجول بالقارئ من مكان إلى آخر، فكسى الرواية بأوصاف كثيرة، ساهمت في نجاحها، وقدرتها على التشويق للقارئ ، وإدخال المتعة الفنية لديه، إضافة إلى العناصر الأخرى كالزمن والسرد واللغة، والحوار، فجميعهم كانوا في حلية جمالية للعمل الروائي، وقد ((استغل أدوات الشكل الفنية في إثارة احساسات معينة لدى القارئ دون التصريح بوجهات نظر معينة)) ،(نبيل راغب،1967،ص.97).وهذه سمات الأديب الجيد، وهذه الإضافات الفنية تستحق الوقوف عندها، وإظهار إبداعات الروائي، وقدرته في تطويع اللغة بكل يسر حتى نهاية الرواية، وتعد الرواية بقيمتها الفنية إضافة قيمة في العمل الروائي، والقيام بدراسته ونقده للمتخصصين في اللغة العربية والنقد الأدبي، وغير المتخصص حتى يقف القراء

على كنوز اللغة، والإحاطة بأسلوبها الفني عن طريق رواية ربيع الكورونا ، وسأختصر المسافة للتوضيح بعض الجوانب الفنية فيها، وهي كالآتي:

القراءة العامة للعنوان: ربيع الكورونا، فتحت باباً للتأويل؛ حيث ابتعد الكاتب عن عنوان المباشر للرواية، كقولنا مرض كورونا، أو خبث كورنا وغيرها، واتخذ ربيعاً للعنوان يحمل التفاؤل والبشائر للنفس الإنسانية، وهو مفارقة فنية متميزة؛ لأنه بعث على الترغيب والتشويق لكل القراء، بمستوياتهم المختلفة، سوف ينظرون إلى العنوان نظرة التفاعل مع الرواية، أو نظرة استغراب وتعجب، وأحدث العنوان دهشة للقراء، ورغبة وفضول للاطلاع على المضمون، فهل ربيع الكورونا هو شدة انتشارها وغزوها في النفوس؟،إنه عنوان بليغ وذات دلالة جمالية لأهل البلاغة واللغة والنقد، وقد اختار الكاتب أجمل الفصول على النفوس بشدة ازدهاره ، وتفتح أزهاره، وكان الغلاف معبراً عن بيت الرواية، ومقصداً هاماً في عالم القراءة ، وهذه من معالم المفارقة والدهشة الفنية للقراءة النقدية.

دلالة المكان:

تأخذك ربيع كورونا إلى رحلة سياحية، فهي تنقلنا من مكان إلى أخر تدور الأحداث فيها، وتسافر بالقارئ إلى مكان ربيع وجودها، وشكل المكان غزار ة الأحداث مع الشخصيات، وتعدد المواقف، والتوافق مع الأزمنة فجمع المكان الدلالة الفنية في الرواية، يقول الكاتب: ((في جامعة شنغهاي بالصين مازالت ساعة كاملة تفصلني عن الموعد المحدد لجلسة المناقشة))[1]، بدأت الرواية بالتصوير المكان وهو الصين، ورسم الكاتب حالة التوتر للبطل الرواية، وهو يستعد للمناقشة رسالته العلمية، ودلالة المكان مصدر ربيع كورونا، مما يخلق الحماس وسرعة تأثر المتلقي بالنص، ومتابعة أحداث الرواية، وأشار الكاتب أصدقاء البطل الذين حضروا لجلسة المناقشة؛ فهم جمعهم المكان و الجنسيات المختلفة لكنهم كانوا على قلب واحد مع صديقهم يقول الكاتب عنهم: ((إحاطة زملائي بي، جانغ لي من الصين، ورابح من الجزائر، وثامر من مصر، والحسن من البحرين، ودروغبا من ساحل العاج، وميشال من فرنسا...، فقد كانوا جميعاً يشجعونني، ويحاولون رفع معنوياتي قبل بدء المناقشة)) ،(رشراش، 2020.ص.34).، فالنص يرمز إلى التعاون والرحمة فيما بينهم رغم اختلاف أماكنهم وتعدد جنسياتهم، لأن هدفهم واحد وهو الدراسة والتعلم من أجل أوطانهم، وكان المكان في خدمة الأحداث وشدة تفاعلها، فالغربة جمعت الأحباب على الخير والتعاطف مع بعضهم.

نقل الكاتب القارئ إلى التمتع برحلة صغيرة في مدينة شنغهاي قائلاً عنها: ((وبقيت أسبوعاً كاملاً أتجول في مدينة شنغهاي جوهرة الشرق؛ لتوديعها، والاستمتاع بطبيعتها الجميلة؛ فذهبت إلى حدائق يويوان ، وزرت المعالم السياحية الرائعة ثم لحقت بشقيقي سليمان في بكين؛ لأقضي معه بعض الأيام هناك، قبل العودة إلى مقر سكني بتونس))،(رشراش،2020،ص.35).إننا نلاحق البطل ورحلته مع الأمكنة المتعددة التي تعطي جمالاً وراحة وطمأنينة للمتلقي، فالمكان الجميل سيهجره البطل بسبب كورونا، ولقد تعلق البطل بالمكان ، وأدخل في نفسه الهدوء والاستقرار ، ولكن الظروف والأحوال تغيرت، يقول الراوي ((فقد حل بمدينة يوهان الصينية وباء مميت، سريعاً ما تحول إلى جائحة عالمية قاتلة، عُرفت بفيروس كورونا)) (رشراش ،2020،ص.37).،والمكان شكل تأثيراً على نفس البطل؛ فهو سيترك الصين مكان العلم والاختراعات والتقنية والنظام في حياتهم، إنه مكان حضارة تدهور حاله، وضعف مكانه، بسبب كورونا، وأصبح المكان خطراً على البطل ، ولذلك قرر الذهاب إلى مكان آخر، وينقلنا في الرواية إلى مكان جديد تتصدر فيه الأحداث، وكثرة المواقف، وارتفعت القيمة الفنية للرواية ربيع كورونا بسبب الترابط والتناسق في الدلالات النصية الممزوجة بالخيال والواقع في أمكنة النص.

وفي موقع آخر من الرواية يستعد البطل إلى الرحيل وترك الصين الجميلة تعاني الوباء، فيقول: ((اتصل بي والدي، وأبلغني بخوفه عليّ وعلى شقيقي سليمان بسبب وجودنا في الصين بلد الجائحة، حثني على سرعة المغادرة ، والعودة إلى تونس، للالتحاق بعائلتي المستوطنة هناك، منذ تسع سنوات، حيث هاجرنا من ليبيا بسبب الحروب الدامية، فقررت مغادرة بكين إلى تونس، أخذت أبحث عن موعد للحجز، فحصلت على حجز بعض الخطوط الجوية الإمارتية - بكين دبي/ دبي تونس)) ،(رشراش ،2020،ص.38).اعتمد الكاتب على ذكر الأمكنة حتى يشعر المتلقي بواقعية الحدث، والقرب من المشهد الذي يصوره الكاتب، وكان المكان حسن التعامل مع البطل في سرد بعض تفاصيل من حياته، والمعاناة من الهجرة عن الوطن، ولذلك كانت تقنية الأمكنة عند الكاتب ترسم صور التعاون بين البلدان في الرحلات وتبادل السياحة ونقل الناس من مكان لآخر، وبسبب كورونا تجمعت البلدان في خدمة البشرية جمعاء، وبذلك ((يشكل المكان حقيقة معايشة، ويؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه، فلا يوجد مكان فارغ أو سلبي))،(غاستون باشلار، 1987،ص.63). ولذلك كانت الأمكنة فعالة في الرواية تؤدي دورها مع العناصر الفنية الأخرى.

الشخصية الرئيسية:

شخصية عمر، وهو بطل الرواية، كان يقود أحداثها، ويصور مشاهدها المتنوعة، وهو الراوي لأحداث الرواية، ولقد ساهم في تطورها، وكسب المتلقي ثقته بعمر ومتابعته في سرد جميل لتفاصيل حياته اليومية، عرفنا بأصدقائه، وأمطرنا بالحديث عن طموحاته، فهو شاب ذو أخلاق حسنة، حلم كل فتاة، يتمتع بالذكاء والفطنة، عصامي، وشجاع، يحب الأناقة ،حسن الظهور، والمزج بين الجدية والمزاح في الأمور، رسم الكاتب شخصيته التي جمعت الثقة والحكمة حتى في ساعات الغضب، والرأفة والحنان في أوقات الخطر والتأزم، شخصية عمر قوي الملاحظة، سريع الفهم، وعلامات الذكاء تبوح في سلوكه، وفي ذلك نماذج كثيرة نقتطف من النص لإثبات قولنا :

1- البطل الطموح:

يبدأ البطل يعرف نفسه في الرواية قائلاً: ((كنت أنتظر بدء مناقشة رسالة الماجستير، وكنت متوتراً، وكان الوقت يمر ببطء شديد))، (رشراش، 2020،ص.34).فالبطل طموح يواصل تعليمه خارج وطنه، تحمل الغربة وهمومها من أجل الوصول إلى المراتب العليا

2- البطل المشاهد:

المتابع لحياة البشر في العالم بسبب الوباء كقوله: ((بإذاعة خبر انتشار هذه الجائحة الفتاكة (فيروس كورنا) أصيب البشر في مختلف أنحاء العالم بالخوف والذعر، وتملكهم الرعب والهلع، وانتابهم شعور بأن الأرض زلزلت زلزالها، وأخرجت أثقالها، فكأن الصيحة ساعة النفخ في الصور قد أخذتهم؛ فأغلقت الحدود بين الدول، وعلقت الرحلات الجوية، وفرض حظر التجول، وعطلت الدراسة في المدارس والجامعات، وألغيت المواعيد العلمية، وتعطلت الأنشطة الرياضية، وأرجئت الصلاة في المساجد)) ،(رشراش،2020.ص.37).شاع الخبر عن الوباء، وصور البطل معاناة البشرية منه، وكيفية السيطرة عليه، لقد نقل الكاتب حالهم، وتدهور أحوالهم، وكان البطل هو عدسة القارئ ينقله من حال إلى أخر.

3-البطل العاشق :

أحب عمر ألفة بعد لقاء صدفة صنعته أحداث كورونا، ونسج الكاتب مواقف كثيرة رسمت أبعادا اجتماعية جميلة تدعو إلى الخير والحب بين الناس، فهو غريب المكان ، فكانت الصين محطة العشق والوئام في أجمل صورة قبل رحيلهما، تصاعدت شخصية البطل في الرواية، وكسبت الحوادث الكثيرة بين العاشق ومحبوبته؛ فهو لا يخفي

أحاسيسه الغرامية، فقد عبر عنها بكل وضوح قائلاً: ((في الوقت الذي كنت أتبادل فيه أطراف الحديث مع ألفة ورفيقتها، تم الإعلان عن البدء في إجراءات تسجيل ركاب الرحلة المتوجهة إلى مطار دبي، كنت في هذه الأثناء أفكر في الجلوس إلى جانب ألفة في الطائرة، وأرغب في اغتنام الفرصة لمواصلة الحديث معها، والتعرف إليها أكثر))،(رشراش،2020.ص.45). إنه بطل لا يعرف اليأس، ولا يقف أمام الظروف الصعبة، بطل لم يفكر بالوباء، والخوف من اقتراب الناس، فألفة غريبة، وفي بيئة أصاب أهلها الكورونا، لكن البطل اقترب ، وأشعل قلبه نيران الحب، وصار الحب عشقاً، وهكذا ((فإن التأثير للعمل القصصي يزداد عمقاً كلما زالت الفواصل بين شخصية البطل، وبين الحدث الرئيسي بحيث يندمجان اندماجاً يخفي معالمها)) ، (محمود ذهني، بدون تاريخ. ص.153). ويحقق الانسجام القراء في التعايش مع الشخصية.

1- البطل وقوة الحدث:

دفع البطل الرواية في أحداث كثيرة، لعبت دورها في زرع المواقف ونموها في الرواية، لتصل بالرواية إلى حبكة متماسكة يصنعها البطل مع الشخصيات الأخرى، كقوله: ((فجأة، وبينما كنا نتبادل أطراف الحديث، رن هاتف ألفة ..أظنها تعمدت فتح سماعة الهاتف، لتوصل إليّ رسالة بعدم أهمية نوفل في حياتها، فقد كان هو المتصل، ردت عليه، ...لم يعجب ألفة حديث نوفل، لا سيما أنني كنت أسمعه، وأنهت المكالمة معه، وهي منزعجة؛ وطلبت الإذن بالانصراف ، فقلت لها: -لن أدعك تغادرين وأنت منزعجة، سوف أوصلك إلى البيت ، إن لم يكن لديك مانع))،(رشراش، 2020.ص .89). وهكذا فالبطل لا يخاف من النتائج؛ فهو مقدام أمام الأمور الصعبة، وحرك البطل الحادثة مع تفاعل الشخصيات الثانوية، إنه تفاعل صاعد الأحداث ، وأرسل إلى المتلقي إشارات معبرة عن علاقة البطل بالآخرين.

وخلاصة القول:

احتوت الرواية على العديد من المزايا الفنية التي جمعت فنون الرواية العربية، كالحادثة والشخصيات والزمان والمكان، والأسلوبية ودورها في بناء النص الروائي، وهذه الجمالية الفنية ارتفع مقامها في الرواية، وكشفت أسرار اللغة، وقدرة الكاتب على توظيف الشكل الفني للرواية بنسيج متماسك الأطراف في النص الروائي.

المبحث الثاني ـ ربيع الكورونا ودور الوعي في المجتمع:

أحاط الوباء (فيروس كورونا) بفئات كثيرة من العالم ، حيث استطاع بعضهم نشر الوعي الاجتماعي بين أفراده، ومحاولة التغلب عليه، وذلك باتباع النصائح الدولة،

المتمثلة في كثرة غسل اليدين، والتعقيم، والتباعد الاجتماعي، وغيرها، ولكن هناك بعض المجتمعات كانت تسخر من الوباء حتى أصيبت بالداء، أو أصيب أحد أفرادها، وذلك بسبب ضعف الوعي الاجتماعي المحيط بأفراد المجتمع، ولذلك كانت رواية ربيع الكورونا مرآة تعكس الوعي الاجتماعي في المجتمع، فالوعي المجتمع لجائحة كورونا لا تختصر على الإعلانات والدعاية فقط، بل تحتاج إلى جهود الأدباء والمثقفين لنشر الوعي لأفراد المجتمع، ويمكن متابعة تفاصيل ذلك لما يأتي:

1- الأسرة وربيع الكورونا:

حل الخوف والرعب للعديد من الأسر وأفراد المجتمع من وباء الكورونا منذ سماع الخبر بانتشار المرض، وعانت الأسرة من مشاكل عديدة في كيفية اتباع السلوك السوي تجاه الوباء، وفي ذلك قال الروائي يصف حالة المجتمعات عند سماع الوباء فقال: ((فقد حل بمدينة يوهان الصينية وباء مميت سريعا ماتحول إلى جائحة عالمية قاتلة عرفت بفيروس كورونا، لم تشهد لها الإنسانية مثيلاً، أرعبت البشر صغاراً وكباراً، وبثت الذعر في قلوب الناس شعوباً وحكاماً، فانقلبت كل الموازين الدنيوية، وتغيرت كثير من مجريات الأحداث على سطح البسيطة))،(رشراش، 2020.ص.30). من النص السابق يتضح لنا أن العالم لم يعد يسير بالشكل الطبيعي، حيث تغيرت القوانين واللوائح السياسية والاجتماعية والاقتصادية بسبب كورونا.

ومن أهم المعوقات التي واجهت الأسرة هي كيفية التعامل مع الوباء، حيث وقفت الزيارات، وابتعدت الناس عن بعضها البعض، وهذا الحال لم يألفه الكثير من الناس، وخاصة في الأسر البسيطة في التفكير، والمحدودة في التعليم، و((من المعروف أنه لا يوجدأي مجتمع إلا ويوجد فيه بعض النظم الاجتماعية المعروفة، ويعرف النظام الاجتماعي على أنه النسق الذي يربط بين أجزاء المجتمع المختلفة))،(مختار قشوط،2016.ص.95). في أحوالهم وحياتهم اليومية، وقد أشارت الرواية إلى خوف الأسر على أبنائها خاصة المتواجدين خارج الوطن كقول الكاتب: ((في أثناء هذا الوقت العصيب، وفي أتون هذه المحنة العصية اتصل بي والدي، وأبلغني بخوفه علي من الإصابة بعدوى الفيروس الجديد، وأعلمني بقلق أمي الكبير علي وعلى شقيقي سليمان بسبب وجودنا في الصين بلد الجائحة))،(رشراش،2020.ص.38). لقد أحاط الخوف الاجتماعي بين الناس والأسر من الوباء، وأصبحت الأسرة قلقة لا تعرف كيفية التوجه لهذا الوباء، فهو جديد على العالم، فكيف بالناس البعيدة عن الطب والعلم، ففي الرواية أبعادا مفادها أن الأسرة كانت محيطة بالمخاوف من ناحية الوباء .

2- المدرسة وربيع الكورونا:

كانت الرواية في أول أحداثها تشير إلى العلم والتحصيل العلمي من الدول الحضارية، وأيقظت بداياتها أهمية الصين وقوة علوها وابتكاراتها، وأن البشر بمختلف أمكنتهم يذهبون إليها لتلقي العلم، حيث قال الكاتب الروائي عن ذلك فقال: ((أشارت عقارب الساعة إلى التاسع من صباح يوم السبت2020م، كنت أنتظر بدء مناقشة رسالة الماجيستير، في جامعة شنغهاي جياو تونغ، بمدينة شنغهاي بالصين، مازالت ساعة كاملة تفصلني عن الموعد المحدد لجلسة المناقشة))،(رشراش،2020.ص.34).فقد الرواية بالعلم، وبأفضل أماكنه، ففي الرواية إشارة إلى أهمية العلم والتعلم، والتعليم يبدأ من المدرسة ثم يصعد حتى يصل إلى الجامعي، وقد أشار الكاتب أن التعليم هو المحور الأساسي لبناء المجتمع، فالصين مكان الوباء استطاعت بالوعي الاجتماعي والرقي أن تتغلب على الجائحة، وبالعلم ترتقي المجتمعات، ففي موقع آخر من النص التقى البطل بطفل انشغل بالعمل، وكاد أن يترك المدرسة ، والدليل على ذلك النص الآتي: ((توجهت صوب شارع الحبيب بو رقيبة ،..في الطريق عرضني في منتصف شارع باريس ، رجل ناهز الخمسين، يلمع الأحذية، وبجانبه طفل، ثيابه بالية، لكنها نظيفة لم تخفِ وسامته ونجابته ونباهته.. نظرت إلى حذائي، فإذا به يحتاج إلى زيادة تلميع، فاقتربت من الرجل ، وتبسمت للطفل الذي بجواره، وسألته: -ما اسمك يا بطل؟

-اسمي لبيب.

-اسم جميل ..يبدو اسما على مسمى))،(رشراش،2020.ص.115).

إن البطل أعجب بالفتى، فهو قريب منه، يحب العلم، ويتبوأ المقاعد الأولى في الدراسة، ولبيب يعمل ويدرس؛ فهو تحدى الظروف المادية، ومظاهر الفقر، وعبر البطل عن إحساسه حول الفتى قائلاً: ((آلمني أن الطفل يلمع الأحذية مع والده، في هذا العمر، لاسيما أنه طفل وسيم ذكي، لبيب، ناجح ومتفوق))، (رشراش، 2020.ص .115).إنه طفل عصامي مثله، ولكن البطل واصل الحديث مع والده، وفهم أسباب الفقر والحرمان الذي يعيشه الصبي، وعرف أن لبيب ينظم وقته ويبدع في العطاء، وقرر البطل مع الوالد أن يأخذ لبيب إلى مدينة الألعاب للترفيه والتنزه، يقول البطل : ((ذهبنا ثلاثتنا (أنا ولبيب ووالده) ظهيرة يوم الأح إلى مدينة الألعاب، وقضيت يوماً جميلاً فيها ..لعب لبيب بكل الألعاب تقريباً، وتناول الأكل الخفيف والمشروبات ..وفي أثناء العودة عرجنا على دكان لبيع ملابس الأطفال، واشتريت للبيب كل ما يحتاج ، ثم أوصلتهما إلى البيت، شكرني الرجل ، وقلت له: أنا مسئول عن دراسة لبيب إلى أن ينال الشهادة الجامعية))،

(رشراش، 2020.ص.119).ومن النص السابق يظهر حرص الروائي على التعليم في مختلف مجالاته حتى نقضي على الأمية والتخلف الاجتماعي، وبالمدرسة يستطيع الطالب إظهار مواهبه وقدراته الإبداعية، ومن هنا نصل إلى حقيقة هامة أن وظيفة المدرسة لا تقتصر على إلقاء المعرفة فقط، بل من واجبها أن تهتم بما يحيط المجتمع من مستجدات على الواقع، كما هو الحال مع الوباء، وأن تربط الأدب كقراءة رواية ربيع الكورونا للطلاب في مختلف أعمارهم بغية مدهم بالمعاني السامية والاجتماعية المحيطة بها، وهي تشكل مرحلة التغيير والتطور في المجال التعليمي.

3- الإعلام وربيع الكورونا:

أشارت رواية ربيع الكورنا في مواضع عديدة إلى الإعلام، ونسجت المواقف الأدبية التي تبرز أهمية الإعلام في المجتمع، فهو ينقل الحقائق من كل العالم بطرق مختلفة من بلاد لأخرى، وقد نقل عن الوباء بطريقة أرعبت الصغار والكبار، ولذلك كان نصيب الإعلام في الرواية كبير كقول الكاتب: ((الإعلام طريقه صعب المرتقى، وعر المنحدر، وكما يقال: الإعلام مهنة المخاطر والمتاعب-صدقت، هي مهنة المخاطر والمتاعب، لكنها عندي رسالة آمنت بها، ووهبت لها حياتي -فعلاً الإعلام رسالة نبيلة، حينما يهدف الإعلامي إلى تقصي الحقائق، ونشر الأخبار الصحيحة، وينزع إلى تصوير الواقع كما هو، ويسهم في التوعية المجتمعية)) ،(رشراش ،2020.ص .50).نعم إن الإعلام محطة هامة وقوية لكل أفراد المجتمع، وينبغي تجاه الوباء أن نكرس الجهود البناءة التي تسعى إلى الطمأنينة للأفراد المجتمع، ونشر الوعي بأشكال مختلفة نحو الوباء، والطريقة المثلى للقضاء عليه، ولكن الإعلام اتخذ من الخوف وإبراز صورة الموت بسبب الوباء طريقة أرعبت المجتمعات، كأنه نهاية العالم حتى أصبح كل شيء ساكناً في العالم، ولذلك ينبغي أن نهتم بإعلامنا ونغرس القيم الجميلة في نفوس الناس، وأن تصل الأحداث بطريقة الاهتمام بالآخرين، ومراعاة مشاعرهم.

4- الوعي الاجتماعي وربيع الكورونا

يعتبر الوعي الاجتماعي إحدى منطلقات نجاح المجتمع وقت الأزمات، فالإنسان الذي يعرف دوره في المجتمع، ويسير بطرق صحيحة يؤدي إلى تطور مجتمعه، ويصبح فخوراً به في ميادين الحياة المختلفة عكس التخلف الذي يعد ((ظاهرة كلية ذات جوانب متعددة، تتفاعل فيما بينها بشكل جدلي تتبادل التجديد والتعزيز مما يعطي الظاهرة قوة وتماسكاً كبيرين، ويمدها بصلابة ذات خطر كبير في مقاومة عمليات التغيير)) (مصطفى حجازي،2005.ص.32).ومعاناة الأفراد منه.

في رواية ربيع الكورونا رسمت حالة المجتمع وكيفية مواجهة الوباء، فهناك من البشر أصابهم الوباء، والتزموا في بيوتهم للحجر الصحي حتى لا يصيبوا غيرهم من الناس، بينما آخرين لم يهتموا بالأمر، فانتشر الوباء بشكل كبير بين الناس، وكذلك هناك من اهتم بلباس الكمامة من أجل صحته بينما غيرهم نظروا إلى الأمر نظرة سخرية من المجتمع حتى أصابوا أقاربهم وذويهم بالفيروس، إضافة إلى الحظر وعدم الخروج إلى الأماكن المزدحمة عجزت بعض الدول على فرض الحجر؛ لأن المجتمع لم يدرك مخاطر الوباء، بينما نجد آخرين بقوا في الحجر الصحي، واشتغلوا على القراءة وغيرها للرقي بفكرهم، واستثمروا أوقاتهم نحو الأفضل، فوعي المجتمع أساسه أفراده الذين ينطلقون من مبادئ سامية لخدمة أنفسهم وغيرهم، وفي ظل الفوضى والتجاهل تنشأ الأمراض الاجتماعية بين الناس، ويفقد المجتمع مقومات النجاح، ولذلك فالمجتمع ينهض بالقراءة ونشر المنتديات الثقافية في أغلب المدن والقرى حتى يصل المجتمع إلى الوعي والتطور الاجتماعي، ويبتعد عن الفراغ العقول والقلوب التي أصبحت تشكل حجر في الرقي المجتمع، فرواية ربيع الكورونا شملت قضايا اجتماعية وسياسية واقتصادية في العالم بشكل عام ، وفي المجتمع الليبي بشكل خاص، وهذه القضايا تستحق الوقوف عندها وتنطلق دراسات محلية وعربية وعالمية لقراءة وتحليل رواية ربيع الكورونا، واختم قولي بقول محمد بدوي بقوله: ((إن هذه الرواية البكر تبشر بسارد أثبت قدرته على خلق الشخصيات والدفع بها في خضم الحياة، وتحميلها رسائل سياسية واجتماعية ونفسية بعيداً عن الشعارات ، ومنطق الإيديولوجيا من شأنها أن تشفي غليل القارئ، وتبعث فيه الأمل على مقاومة الرعب الذي سكن الناس من هذا الوباء الذي حير الجميع وأعاد الناس إلى عهود سابقة كانت فيها الأوبئة تحصد الأرواح، ومثل هذه الرواية تبعث الأمل في الشفاء، وتجعل الحب سبيلاً إلى الانتصار على كل ما شأنه أن ينغص حياة الإنسان))،(رشراش،2020.ص.7).ويعكر صفوه، ويظل التفاؤل يعطر أجواء أنفاس الحياة.

الخاتمة:

وبعد الانتهاء من المباحث السابقة تصل الباحثة إلى الخاتمة،؛ حيث توصلت الباحثة في دراستها لموضوع دور الأدب في تنمية المجتمع إلى عناصر مهمة وهي:

1- الاهتمام بالدراسات الحديثة في العلوم الإنسانية، والنظر إليها لخدمة المجتمع، والرقي بمجالاتها العلمية والأدبية.

2- تشكل الأسرة هي البيئة التي تعمل على تنشئة الفرد في سلوكه وطرق التعامل مع غيره، ولذلك وجب الاهتمام بحقوقها وواجباتها، وإنشاء مراكز توعية للأسرة.

3- أصبحت حضارة المجتمعات كثيرة، ومتعددة الروافد، ولذلك لابد من الترابط بين المجتمع الصغير؛ وهو الأسرة ثم المدرسة ثم المؤسسات الاجتماعية، والتواصل في الخبرات بين المجتمعات الأخرى في التعليم والتربية، وخاصة في دراسة التخلف الاجتماعي والتعليمي، والتعرف على أبعاده.

4- أصبح الأدب مجالاً واسعاً تتخطى وسائله حدود البيئة المحلية، ولذلك فلابد من تضافر الجهود بين أفراد المجتمع، ونشر الثقافة العامة للأجيال القادمة، والعودة إلى الأصالة الأدبية في ثوب جديد وحضاري.

5- اخترت في البحث نموذج من الأدب الليبي الذي شكل معاناة الليبيين في حياتهم، ونقل الروائي الدكتور أحمد رشراش في روايته ربيع الكورونا ملامح كثيرة ومتميزة عن المجتمع الليبي، وعبر عن همومه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فكانت الرواية انتقال مرحلة من تاريخ ليبيا في الماضي والحاضر، ولم يقف الروائي في الوصف للبيئة المحلية بل تخطى قلمه إلى الهم العالمي الذي انتشر في مكان ألا وهو الوباء الذي حصد الأرواح، ولقد استفاد الروائي من تخصصه في اللغة العربية، واستطاع بالرواية المتميزة أن يعبر بلغة سلسة تناسب القراء في مختلف ثقافاتهم ، وهذه وظيفة الأدب الذي يحاكي أفراد المجتمع بلغة قيمة، تبقى آثارها على مرور السنين.

6- وكذلك توصلت الباحثة إلى أهمية دور النشر في المكتبات العامة والخاصة في نشر الكتب الأدبية القيمة والحديثة، وتيسير للقارئ العام الوصول إليها حتى تصل إليهم، وتحببهم في القراءة، وزيارة المكتبات كزيارة الأسواق والمحال التجارية.

هوامش البحث :

(1)إبراهيم إسماعيل، الإعلام المعاصر، إدارة البحوث والدراسات الثقافية، بدون طبعة، 2014م.
(2)أحمد الهادي رشراش، رواية ربيع الكورونا، تونس: منشورات ابن عربي، الطبعة: الأولى، 2020.
(3)إنريك إمبرت، مناهج النقد الأدبي، ترجمة: الطاهر مكي، القاهرة: مكتبة الآداب، 1991م.
(4)برتراندرسل، في التربية، ترجمة: سمير عبود، بيروت: منشورات مكتبة الحياة، بدون طبعة، بدون تاريخ.
(5)شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، القاهرة: دار المعارف، الطبعة: 8، بدون تاريخ.
(6)صبري حافظ، الأدب والمجتمع، مجلة فصول، مجلة النقد الأدبي، تصدر عن الهيئة المصرية للكتاب، العدد: الثاني، المجلد : الأول، 1981م.
(7)غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للنشر، الطبعة: الثالثة، 1987م.
(8)مبارك ربيع، عواطف الطفل، طرابلس-تونس، الدار العربية للكتاب، بدون طبعة، 1958م.
(9)محمد عثمان، في أدب ما قبل الإسلام، بيروت: دار الأوزاعي للطباعة، الطبعة الثالثة، 1986م.
(10)محمود ذهني، تذوق الأدب، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، بدون طبعة، بدون تاريخ.
(11)مختار قشوط، حول المجتمع الليبي، بنغازي: دار الكتب الوطنية، بدون الطبعة، 2016م.
(12)مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، الطبعة: التاسعة، 2005م.
(13)نبيل راغب، قضية الشكل الفني عند نجيب محفوظ، دار الكاتب للطباعة والنشر، بدون طبعة، 1967م.